Route Educational & Social Science Journal
Volume 6(3) ; February 2019
Artical History
Received/ Geliş 14.12.2018 | Accepted/ Kabul 13.2.2019 | Available Online/yayınlanma 15.2.2019

الهيكل التنظيمي لديوان الرسائل والدواوين المرتبطة به في العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري

د. حنان رضا الكعبي
تاريخ إسلامي
Assist. Prof. Dr. HANAN RIDHA ALKAABI
History Department
Islamic History
Al-Mustansiriyah University
College of Arts/ History Department
الجامعة المستنصرية
كلية الآداب/ قسم التاريخ

ملخص البحث:

يعد ديوان الرسائل من أهم وأخطر الدواوين بالدولة العربية الاسلامية،وصاحب هذه الرتبة هو لسان الخليفة الناطق بحجته المترجم عن عقله ومقالته، واليه تلقى أسرار الجدولة وخطير أمورها واليه ترد المكاتبات وعنه تصدر.

للكتابة الأنشائية أثر في نقل الفكر من الأسلوب الشفوي والخطابي الى الأسلوب الأنشائي/مما يتطلب عناية خاصة في بناء أسلوب فني خاص في عرض الأفكار وأختيار الكلمات وتوحيد اللغة،وما يتبعها من تسجيل تلك الكلمات وفق الفكرة الأساسية للموضوع ،وما يتناسب والمثل العليا للثقافة والحضارة العربية الأسلامية التي يتبناها الكاتب .

فجاءت دراستنا للكشف عن حقائق تأريخية وسمات فنية جديدة لطبيعة التنظيم الأداري لديوان الرسائل والدواوين المرتبطة به،والذي انتظم وأخذ شكله الرسمي في العصر العباسي .. أن مهام متولي الديوان نمر بسلسلة مترابطة ودقيقة من المهام الأدارية والتنظيمية ذات أبعاد أحترازية، مما حتم على متولي الديوان الأستعانة المساعدين ذوي المهارات الكتابية والقابليات الرصينة.

الكلمات المفتاحية(هيكل . ديوان الرسائل . العصر العباسي.)

Abstract

The letters dynasty is one of an important and dangerous dynasties in an Islamic Arab State , the owner of this rank is the tongue of the Caliph, who speaks his dialect, interpreting his mind and his article, he receives the secrets of scheduling and the seriousness of its things, which respond to the correspondence and issued.
The Structural writings has an impact in moving the thought from oral and rhetorical style to structural style , which requires a special care in establishing artistic style in showing thoughts , selecting words , unifying the language , recording that words according to the main idea and high ideas of culture and Islamic Arab civilization that the writer adopted .
Our study came to discover the historical facts and new art features to the nature of an administrative organization to letters dynasty and associated dynasties which organized and became an official in the Abbasid period . The tasks of dynasty owner pass an accurate and associated series of an administrative and organizational tasks with precautionary dimensions that made the dynasty owner to use a selection of assistant clerks with written skills and solid capabilities.

(Organizational Structure of Letters and Associated Dynasties in Abbasid Period Till End Third Century A.H)

المبحث الأول/مفهوم كلمة ديوان لغة وأصطلاحا"

قبل المضي بتتبع مراحل البحث لابد من توضع مفهوم ((الديوان)) لغة واصطلاحا وتقص جذوره التاريخية :-

الديوان كلمة مشتقة من الأصل الثلاثي ((دون)) بمعنى اثبت سجل أو جمع[1]. واشار الجوهري بان اصله دوان ، فعوض عن إحدى الواوين بالياء لانه يجمع على دواوين، ولو كانت الياء اصلية لقالوا: دياوين [2] ، واكد (ابن فارس) بان الدال والواو والنون اصل واحد يدل على المداناة والمقارنة، ويقال هذا دون ذاك :أي هو اقرب منه[3]، "ودون بالكسر وقد دونت الدواوين تدوينا"[4] .

وهو بالكسر لاغير وقد اكد هذا الامر (سيبويه) الذي ذكر "انما ضمت الواو في ديوان وان كانت بعد الياء ولم تعتل ..... والياء في الديوان غير لازمة وانما هو فعال من دونت.... " [5]

---

(1) ابن سيدة :ابو الحسن علي ابن اسماعيل النحوى (ت:458هـ)، **المخصص** ، مصر ،بولاق /المطبعة الاميرية 1320،ج13 ص8 ، ابن منظور: ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت:711هـ)، **لسان العرب** ،بيروت ، دار صادر 1956 ،ج13،ص166.

(2) الجوهري: اسماعيل بن حماد ، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، ط4 ، بيروت دار العلم للملايين ،1987، ج5، ص2115 .

(3) ابن فارس: ابو الحسين احمد بن فارس بن زكريا (ت:395هـ)، **معجم مقاييس اللغة**، عني بنشره :د. محمد عوض مرعي ،فاطمة محمد اصلان ط1،بيروت ، دار احياء التراث العرابي ،2001 ،ص352 .

(4) الرازي :محمد بن ابي بكر بن عبد القادر (ت666هـ)، **مختار الصحاح**، الكويت ،دار الرسالة ،1983 ،ص216 .

(1) سيبويه: عمرو بن عثمان (ت:179هـ)، **الكتاب**، تحقيق :عبد السلام هارون ، بيروت ،عالم الكتب، بلاتاريخ، ج3، ص218 .

اما في الاصطلاح فالديوان مجتمع الصحف[6] ويقصدبها الدفتر او السجل الذي تسجيل فيه اسماء المقاتلين ومقدار اعطاءتهم وكذلك اهل العطاء على القبائل والبطون ،وقد قيل بان الشعر ديوان العرب أي سجلهم[7].

مما اثار جدلا وتباينا في اراء مؤرخينا حول اصل كلمة ديوان بين من يطعن بعرويتها ويرجع جذورها الى أصول أعجمية .

ويذكر (الصولي):بان الديوان "اسم فارسي تكلمت به العرب فقالوا :ديوان ولم يقولوا ديوان ، ويفتح الدال ،كما قالوا ديباج ولم يقولوا ديباج[8].

بينما انبرت طائفة اخرى من المؤرخين وممن اكدوا بان اصل كلمة (ديوان)عربي مد حظين اراء مخالفيهم :ويشير (ابن خالوية) (ت:37هـ) بان "كلمة (ديوان) مشتقة من الاصل الثلاثي (دون) معنى، اثبت، سجل او جمع"[9]. وقيل "ان الديوان الاصل الذي يرجع اليه ويعمل بمافية"[10].

واليه ذهب (البغدادي)وهو من رجال القرن الثالث الهجري فذكر "بان العرب قد استعملت هذا اللفظ فجعلوا كل محصل مجموع من شعر وكلام ديوانا"[11].

ويشير (الخفاجي) نقلا عن المرزوقي (ت:321هـ) قائلا ؛ (الديوان عربي من دونت الكلمة اذا ضبطتها وقيدتها ،لانه موضع تضبط فيه أحوال الناس .....وتدون وليس معربا ويطلق على ألدفتر وعلى محله وعلى الكتاب [12].

([6]) الزمخشري: جاد الله ابي القاسم محمود بن عمر (ت: 538هـ)، **اساس البلاغة**، بيروت، دار صادر، 1979، ج2، ص199، الفيروزآبادي: مجد الدين ابو طاهر محمد بن يعقوب (ت:817هـ)، **القاموس المحيط** ، مصر، مطبعة المامون، 1938 ،ج4 ،ص223 .

(7) البغدادي :ابي القاسم عبد الله بن العزيز (ت:في القرن 3هـ)، **الكتاب وصفة الدواة والقلم وتصريفها** ،تحقيق هلال ناجي بغداد ،دار الحرية للطباعة، متسل من مجلة الموارد العدد الثاني ،المجلد الثاني 1973،ص56.

([8]) **ادب الكتاب** ،ص187 .

([9]) ابن خالويه: الحسين بن احمد (ت:370هـ)، **ما ليس من كلام العرب**، تحقيق :احمد عبد الغفور ،القاهرة ،دار مصر للطباعة 1957، ص45-46، الزمخشري ، **اساس البلاغة** ،ص199 ،ابن منظور ، **لسان العرب** ،ج13 ،166، الزبيدي **تاج العروس** ،ج9 ،204 .

([10]) القلقشندي :ابو العباس احمد بن علي (ت:821هـ)، **صبح الاعشى في صناعة الانشا** ، نسخة مصورة من الطبعة الاميرية، القاهرة، بلا تاريخ ، ج1، ص89-90 ،الباشا :حسن، **الفنون الاسلامية والوظائف على الاثار العربية** ، القاهرة ،دار النهضة العربية، 1966 ، ج2، ص540 .

([11]) **الكتاب وصفة القلم والدواة** ، ص56 .

([12]) **شفاء الغليل** ،ص119 .

والرأي الذي نرجحه من تلك الاراء هو ان لفظ ديوان عربي الاصل ،وان الروايات التي اوردت نسبة الديوان غير عربي هي روايات مدسوسة ،وضعت في حقبة متاخرة وهي من عمل الشعوبية.

ويبدو اننا لو تتبعنا جذوره التاريخية سنجد ان هذه المفردة موجودة في لغة العرب وتعاملوا بها الا انها لم تكن بالمفهوم الذي تطور للفظ (الديوان) ولابد من القول بان العرب قد اقتسبوا التنظيم الاداري للديوان كما سنرى في ثنايا البحث اما لفظ الديوان فهو من الالفاظ العربية العريقة، وهذا ماتؤكده لنا قراءة بعض الاحاديث النبوية الشريفة وليس اصدق نصا من الحديث النبوي الشريف فقد روي عن الرسول (صلى الله عليه و اله وسلم)انه قال:- "الدواوين عند الله عزوجل ثلاثة : ديوان لايعبا الله به، وديوان لايترك الله منه شيئا ، وديوان لايغفره الله "[13].

واورد (ابن حنبل)حديثا اخر عن النبي (صلى الله علية واله وسلم)قوله: "لايجمعنكم ديوان حافظ" [14]. وتاتي بمعنى سجل او كتاب [15]. يدون وتثبت فيه امور المسلمين.

وقد يرد (الديوان) بمعنى مجموعة قصائد شعرية وهذا ما اشير اليه في حديث ابن عباس (ت:68هـ) في قوله: "اذا قرأتم شيئا من القران ولم تعرفوا عربيته فاطلبوه في شعر العرب فانه ديوانهم" [16].

وقد اكد هذا المعنى الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) في قوله :-

"ايها الناس عليكم بديوانكم قالوا وما ديواننا ؟ قال :شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم" [17].

مما يشير الى ان لفظ (ديوان) كان معروفا لدى العرب وهو جزء من لغتهم وخصوصيتهم وقد ورد بمعنى كونه :مجموعة قصائد الشعر العربي ما حفظ منها وما دون فقيل : ان الشعر ديوان العرب[18]. أي بمعنى سجلهم .

ومما يؤكد لنا ان اللفظة عربية ان (ادي شير) لم يتطرق الى ذكرها ضمن الالفاظ الفارسية المعربة لديه بل اشار الى لفظ دستور والتي تعني في جملة الفاظة على سجلات الجند لديه[19].

([13]) ابن حنبل :ابو عبد الله احمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت:241هـ)، **مسند احمد**، القاهرة، المطبعة اليمنية ،1313هـ ،ج6 ،ص240 .

([14]) مسند أحمد ،ج3 ،ص457.

([15]) ابن منظور ،**لسان العرب** ،ج13 ،ص166.

([16]) البغدادي ، **الكتاب وصفة الدواة** ، ص56 ، البطليوسي، **الاقتضاب** ،ج1 ،ص193.

([17]) الحاكم : محمد بن عبد الله النيسابوري (ت:405هـ)، **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ، بيروت ،دار الكتب العلمية، 1990 ، ج4 ، ص71 .

([18])E, l, (Diwan ; Levey ,R., **The Social structure of Islam** ,Cambridg , 1962, P: 407

ونستنتج مما سبق ان لفظ (ديوان)اطلق ليدل على السجل او الدفتر ومنهم من يشير به الى مجموعة قصائد الشعر وبمرور الزمن تطور ليشمل مكان جلوس القائمين على هذه السجلات والدفاتر ثم يمتد الى ذلك التنظيم الاداري للديوان كما سنرى بفروعه وتشعبات عمله وهذا ما اوضحته بعض الروايات التاريخية فقد جاء عند (الماوردي) :-

بان الديوان "موضع لحفظ ما يتعلق بحقوق السلطنة من الاعمال والاموال ومن يقوم بها من الجيوش والعمال[20]. والى ذلك اشار (ابو يعلي) . وقد يطلق احيانا على مكان جلوس العمال المباشرين لها"[21].

وقد تلخص بان الديوان "يطلق على الكتاب الذي يجمع فيه قصائد الشاعر وربما اطلق على كل مجلس يجتمع الاقامة المصالح او للنظر فيها" [22].

ومما تجدر الاشارة اليه بان لفظ (الديوان) قد تطور وتوسع مدلوله في نظم الحضارة العربية الاسلامية فقد "استعمل كلقب فخري للدلالة على الخليفة في العصور المتاخرة"[23].

المبحث الثاني/ الهيكل التنظيمي لديوان الرسائل في العصر العباسي

شهد العصر العباسي نشاطا ثقافيا وحركة علمية ازدهرت منذ ان اسست بغداد عام (145هـ/762م)، واصبحت حاضرة الدولة العربية الاسلامية ومنبع الفكر العلمي والثقافة العربية.

وقد انعكس هذا النشاط والتقدم الثقافي في المظاهر الحضارية للدولة العربية الاسلامية من خلال تاثيره على نظم الحضارة الاسلامية وفي مقدمتها الدواوين وتطور الهيكل التنظيمي لتلك الدواوين، وقد تمثل هذا الامر جليا في الدواوين المرتبطة بالمكاتبات الرسمية، وفي مقدمة تلك الدواوين (ديوان الرسائل)، الذي "لقب متوليه بصاحب ديوان الرسائل او متولي ديوان الرسائل"[24] وربما سمي "صاحب ديوان المكاتبات، او متولي ديوان المكاتبات"[25]، وقد سمي في بعض العصور بـ (ديوان الانشاء)[26].

([19]) ادي شير، **الالفاظ الفارسية المعربة** ، بيروت ،المطبعة الكاثوليتية ،1908 ،ص93.

([20]) **أبو الحسن ، علي أبن محمد البصري ، (ت 450هـ) ، الاحكام السلطانية** والولايات الدينية ، بيروت ، دار الكتب العلمي 1978 ،ص199.

([21]) محمد بن الحسين الفراء (ت 458هـ) ، الأحكام السلطانية ، علق عليه وصححه : محمد حامد الفقي ،مصر ، مطبعة الباب الحلبي ، 1938 ، ص220.

([22]) ابن منظور، **لسان العرب** ،ج13 ،ص166 ،الزبيدي ، **تاج العروس**، ج9،ص212.

([23]) حسن الباشا ،**الفنون الاسلامية والوظائف** ،ج2 ،ص545 (مادة ديوان) .

([24]) الصابي، **اقسام ضائعة من كتاب تحفة الامراء في تاريخ الوزراء**، تحقيق: ميخائيل عواد، بغداد، 1948، ص77، القلقشندي، **صبح الاعشى**، ج1، ص103.

([25]) القلقشندي، **م.ن.**، ج1، ص103.

ومهمة ديوان الانشاء القيام بالمكاتبات الادارية وتنظيمها وكتابة الصور النهائية من المراسيم والمناشير والاقطاعات وغيرها وكذلك تحرير المكاتبات الرسمية بين الخلافة وولاياتها وبينها وبين الدول الاجنبية[27]، "ويعد هذا الديوان من اخطر الدواوين في الدول الاسلامية"[28]، ولذلك سمي متوليه بالكاتب او المنشئ[29].

ويرسم لنا (ابن خلف) صورة رائعة لصاحب ديوان الرسائل اذ يصفه قائلا "صاحب هذه الرتبة هو لسان الملك الناطق بحجته، المترجم عن عقله ومقالته ، وهو حلية المملكة وزينتها ، يرفع ذكرها ويعلي قدرها ، ويعظم خطرها ويدل على فضل ملكها ورئيسها .. وهو يرأس طبقات الكتاب ويتقدمهم بالفضائل"[30].

في حين يؤكد (ابن خلدون) قائلا:

"واعلم ان صاحب هذه الخطة لا بد من ان يتخير ارفع طبقات الناس واهل المروءة والحشمة منهم وزيادة العلم وعارضة البلاغة فانه معرض للنظر في اصول العلم ..."[31].

وقد حظي صاحب الرسائل بمنزلة كبيرة عند الخليفة اذ "اليه تلقى اسرار المملكة وخطير امورها وبرايه يستضاء في مشكلاتها، واليه ترد المكاتبات وعنه تصدر، وكثيرا ما كان يجلس مع الخليفة في مجلس القضاء للنظر في المظالم وختم الاحكام بختم الخليفة"[32].

ولا بد من القول بان عمل ديوان الرسائل " لم يقتصر على عاصمة الخلافة بل تعداه الى قيام دواوين للرسائل تنظم المكاتبات الادارية بين الولايات والخلافة، وبين الولاية وغيرها من الولايات الاخرى فضلا عن مكاتبات البلدان الاجنبية".

وبذلك يمكننا القول بان بوادر التنظيمات الادارية الحقيقية برزت في العصر العباسي الاول فقد "استخارت بنو العباس تسمية الكاتب وزيرا فلم يكن الخلفاء والملوك تستوزر الا الكامل من كتابها، والامين

([26]) الخوارزمي، **مفاتيح العلوم**، ص78، الصابئي، **اقسام ضائعة**، ص77، القلقشندي، **صبح الاعشى**، ج1، ص103.

([27]) السيوطي، **حسن المحاضرة**، ج2، ص132، الباشا: حسن، **الفنون الاسلامية والوظائف**، ج2، ص667، **الالقاب الاسلامية**، ص10، ص16.

([28]) الصابيء، **اقسام ضائعة**، ص77.

([29]) العماد الاصفهاني: ابو عبد الله محمد عماد الدين الاصفهاني (ت: 597هـ)، **خريدة القصر وجريدة العصر**، تحقيق: محمد بهجت الاثري، وجميل سعيد، ج1، القسم العراقي، ص140.

([30]) **مواد البيان**، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مستل من مجلة المورد، العدد الاول، المجلد: 17، ربيع، 1988،ص166.

([31]) **المقدمة**، ج1، ص247.

([32]) الصابيء، **اقسام ضائعة**، ص77.

العفيف من خاصتها والناصح الصدوق من رجالها، ومن تامنه على اسرارها واموالها وتثق بحزمه وفضل رايه وصحة تدبيره"[33].

بعد ان اقتبسوا هذه التنظيمات من الامويين وطوروها وفق الرؤية الحضارية الجديدة للعصر العباسي وما فرضته هذه التطورات من مستجدات ادارية لمواكبة التطور الحضاري والمدني واضفاء نوع من التفرد والتمييز العربي والاسلامي على تلك التنظيمات، مما عزز من مكانة الكاتب ومنزلته في الدولة وعند الخليفة على وجه الخصوص.

ويبدو لنا جليا بان الرسم كان جاريا بان يختار الخلفاء وزراءهم من طبقة الكتاب لحذقهم بالامور الكتابية فضلا عن عمق بلاغتهم ودقة معانيهم، مما جعل هناك نوعا من الخلط بين الكتاب والوزراء وهذا ما برز جليا خلال العصر العباسي الاول، فقد كان الوزير في الوقت نفسه يسند اليه منصب الكاتب الى جانب وزارته وهذا ما سنراه في ثنايا البحث.

فقد تركزت مهام ديوان الرسائل في "فض الكتب والرسائل والرقاع الواردة الى الخليفة والخاصة بالشؤون الادارية من قبل كتاب الديوان وتصفحها لفظا ومعنى وترتيبها وعرضها على الخليفة في مجلسه والبت فيها"[34]، "ومراجعة جميع المكاتبات والمنشورات ..."[35]، بغية تجنب الوقوع في أي زلل او تحريف يقع في تلك الكتب الصادرة والواردة الى دار الخلافة.

واذا دققنا النظر في مهام متولي ديوان الرسائل نجدها تمر بسلسلة مترابطة ودقيقة من المهام الادارية والتنظيمية لضمان وصول الكتب والرسائل والمناشير والرد عليها الى جانب ما يصدر عن ديوان الخلافة من كتب وعهود وتقليدات واوامر سلطانية مختلفة وفق صيغ تنظيمية واحترازية لمنع حدوث أي غش او تلاعب في تلك الكتب، وهذه المهام بطبيعة الحال ذات افق ومدى واسع، مما حدا بصاحب الديوان الى الاستعانة بمساعدين وكتاب ماهرين يعملون الى جانبه في ديوان الرسائل فهو "يحتاج الى ان يكون بين يديه كتاب يعينونه في الانشاء، وآدابهم كآدابه"[36].

وقد علل (القلقشندي) الحاجة لهؤلاء الكتاب بقوله:

"... لاشتغاله بالحضور عند الملك في بعض الاوقات لقراءة الكتب الواردة وتقرير ما يجاب به عن كل منها، مع شغله بتصفح ما يكتب في الديوان والمقابلة به، احتاج ان يرد امرها الى كاتب يقوم مقامه"[37].

([33]) المسعودي، التنبيه والاشراف، (طبعة بيروت)، ص310.

([34]) ابن الصيرفي، **قانون ديوان الرسائل**، ص110.

([35]) **ابن الصيرفي** ، **قانون ديوان الرسائل** ، ص110.

([36]) ابن خلف، **مواد البيان**، ص166.

([37]) **صبح الاعشى**، ج1، ص111، ج6، ص203.

فكان يساعد صاحب ديوان الرسائل عدد من الكتاب والموظفين والذين يتكون منهم الديوان للقيام باعماله والنهوض بها على اتم صورة وذلك على اساس الاختصاص ومن ابرزهم:

1- **كاتب الانشاء**: ويتركز عمله بانشاء نسخة يعملها الكاتب فتعرض على صاحب الديوان ليزيد فيها او ينقص منها او يقرها على حالها ويامر بتحريرها[38].

ويجب ان يكون هذا الكاتب متقدما في الفصاحة والبلاغة، قوي الحجة في المعارضة ... فأنه اجل كتاب الديوان، وارفعهم درجة لانه يتولى الانشاء من نفسه"[39].

وقد يذهب كاتب الانشاء "الى التمثل بآداب الاوائل والاستشهاد بالقرآن الكريم فذلك احلى لمنطقه واحسن عند سامعه"[40]، ويتحاج كاتب الانشاء "ان يكون متمهرا في اصل الترسل عارفا بوجوه المعاني ... للوقوف على رسومها"[41].

كالجاحظ الذي كان له مجلس في ديوان انشاء الرشيد[42]، والحسن بن وهب الذي يعد من ابرز كتاب الانشاء للخليفة الواثق[43] وابراهيم الصولي كاتب انشاء المتوكل[44].

2- **كاتب التحرير**: ويعنى بتحرير الكتب بعد ان يجيزها صاحب الديوان يقوم المحرر بنقلها من سواد النسخة الى بياض نقي[45]، وتحرير الكتاب يعني "خلوصه كانه خلص من النسخ التي حرر عليها، وصفا عن كدرها"[46]"، وقد استدل الصولي بقوله تعالى: "رب اني نذرت لك ما في بطني محررا"[47].

مما فرض نوع من التخصص حسب الكفاءة ومدى رصانة القابليات والمهارات الكتابية في عملية التحرير مما فتح المجال واسعا للتنافس بين الكتاب لابراز مهاراتهم وملكاتهم الادبية، من خلال كل واحد منهم بتحرير جانب معين من الكتب والرسائل السلطانية، ومن ابرز اولئك المحررين:

([38]) الخوارزمي، **مفاتيح العلوم**، ص50.

([39]) القلقشندي، **صبح الاعشى**، ج1، ص130.

([40]) ابن وهب: ابو الحسن اسحاق بن ابراهيم الكاتب (ت: في منتصف القرن الرابع الهجري)، **البرهان في وجود البيان**، تحقيق: احمد مطلوب وخديجة الحديثي، ط1، جامعة بغداد، 1967، ص350.

([41]) ابن قدامة، **الخراج**، ص38.

([42]) ابن الداية، **المكافاة**، ص145.

([43]) التنوخي، **الفرج بعد الشدة**، ج1، ص181، ابن العمراني، الانباء، ص113.

([44]) التوحيدي، **البصائر والذخائر**، ج4، ص130.

([45]) الخوارزمي، **مفاتيح العلوم**، ص50، ابن وهب، **البرهان**، ص316، البطليوسي، **الاقتضاب**، ق1، ص138.

([46]) الصوبي، **ادب الكتاب**، ص156.

([47]) آل عمران، الاية: 35.

أ. محرر مختص "بكتابة مكاتبات الملوك عن ملكه، وقد شرط فيه ما شرط في المتصدي للانشاء المتقدم ذكره ان كان هو الذي ينشئ المكاتبات بنفسه عن الملك، ان يكون على دين الملك الذي يكتب عنه ومذهبه"[48].

ب. محرر مختص "بكتابة مكاتبات اهل الدولة وكبرائها، وولاتها، ووجوهها من النواب والقضاة والكتاب والمشارفين والعمال، وانشاء تقليدات ذوي الخدم الصغار والامانات، وكتب الايمان والقسامات ... فهي جليلة الخطر عالية القدر"[49].

وقد اشترط فيه ان "يكون مأمونا على الاسرار، كاف اليد، نزه النفس ... سريع اليد في الكتابة، حسن الخط"[50]، ولابد ان يختار من الالفاظ احسنها ومن المفردات ابلغها، "وكان قلم ابن المقفع[*] يقف كثيرا فقيل له في ذلك فقال:

ان الكلام يزدحم في صدري فيقف قلمي لتحيره"[51]، ويطالعنا ابا علي بن مقلة الخطاط[52] وابن عبد كان كاتب ومحرر في ديوان رسائل ابن طولون[53].

ج. ومحرر مختص بكتابة المناشير والكتب اللطاف والنسخ، وعمله مكمل لعمل المحرر الذي قبله وكانه جزء منه، وتنطبق عليه نفس مواصفاته"[54]،

ويبدو ان جل الاعمال السلطانية من كتب ومناشير وتقليدات وامانات، تصدر من تحت يد هؤلاء المحررين مما استوجب استعانتهم بمساعدين بسبب كثرة مهام هذا المحرر وثقل اعبائة، ولضمان انسيابية العمل وفق آلية منظمة ودقيقة في نفس الوقت. وهنا لابد من القول بان:

النسخ على معنيين: احدهما نسخ الشيء لما تقدمه وذهابه به، وحلوله مكانة[55]، وهو في قوله تعالى: (ما ننسخ من آية او ننسها نأت بخير منها او مثلها)[56].

([48]) ابن الصيرفي، **قانون ديوان الرسائل**، ص126-127، القلقشندي، **صبح الاعشى**، ج1، ص131.

([49]) ابن الصيرفي، **قانون ديوان الرسائل**، ص119، ص130، القلقشندي، **صبح الاعشى**، ج1، ص131.

([50]) القلقشندي، **صبح الاعشى**، ج1، ص131-132.

([*]) سترد ترجمته.

([51]) الصولي، ادب الكتاب، ص158.

([52]) ينظر: ياقوت الحموي، **معجم الادباء**، ج9، ص28، القلقشندي، **صبح الاعشى**، ج1، ص17.

([53]) ابن النديم، **الفهرست**، ص263، القلقشندي، **م.ن**، ج1، ص95، ج3، ص13.

([54]) القلقشندي، **صبح الاعشى**، ج1، ص132.

([55]) العسكري، **التلخيص في معرفة اسماء الاشياء**، ج2، ص707.

([56]) سورة البقرة، الاية: 106.

والمعنى الاخر ان "ننسخ الشيء هو الاتيان بمثله سواء، وهو من قولهم: نسخت الكتاب: أي جئت بمثله، لم اغادر حرفا"[57].

وقد اشارت المصادر التاريخية بان زياد بن ابيه اول من عمل نسخا للكتب كي تحفظ في الديوان، وهذا ما تؤكده رواية لـ (غرس النعمة) التي جاء فيها:

"املى زياد بن ابيه على كتابه يوما كتابا الى معاوية، وسها فقال عن خاطر خطر بقلبه –وهذا الرجل عمران بن الفضل البرجمي–، فكتب الكاتب، فلما وصل الكتاب الى معاوية كتب الى زياد: "ذكرت في كتابك عمران بن الفضل البرجمي ولم تذكر لهذا الكلام ما تقدمه ولا ما اتصل به؟" فسال زياد الكاتب عن ذاك، فقال: ما اعلم، انت تملي وانا اكتب! فقال زياد له حديث نفس سقط بين كلامي وكتابي، لا تكتبوا كتابا الا جعلت له نسخة في الديوان! فكان ذاك اول وضع النسخ"[58].

وقد اشترط في الناسخ ان يكون امينا في نسخ الكتب دون حذف او تحريف[59]، ويكون كتوما للسر، حسن الخط[60].

"ويلزمه ان يتقيد بالاصل في نسخة والا أوخذ، فان ظهر انه اثبت في احدى نسخة ما لم يكن في اصلها توجه عليه الدرك"[61].

ومن الكتاب المحررين محمد بن عبد الملك الزيات الذي عمل محررا في ديوان رسائل الواثق لما تقلد الخلافة[62]، وابو عبد الله بن مقلة الذي تفرد بالنسخ في خلافة المقتدر بالله[63].

3- **كاتب تبييض**: تتركز مهمته بتبييض ما ينشئه المنشئ وذكر لنا (القلقشندي) الذي اعتمد كثيرا على (أبي الفضل الصوري)(*) في تذكرته، و (ابي جعفر النحاس)(**) في كتابة صناعة الكتاب" بانه:

([57]) العسكري، المصدر نفسه، ج2، ص708.

([58]) محمد بن هلال (ت:480هـ)، **الهفوات النادرة**، حققه وعلق عليه وقدم له: د. صالح الاشتر، ط1، دمشق، 1387هـ–1967م، ص358.

([59]) السبكي: تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت:771هـ)، **معيد النعم ومبيد النقم**، تحقيق: محمد علي النجار، ابو زيد شلبي ومحمد ابو العيون، القاهرة، مطابع دار الكتاب العربي، ص131–132.

([60]) القلقشندي، **صبح الاعشى**، ج1، ص132.

(61) ابن مماتي، **قوانين الدواوين**، ص9، حسن الباشا، **الفنون الاسلامية والوظائف**، ج3، ص1177.

(62) التنوخي، **نشوار المحاضرة**، ج8، ص19.

(63) القلقشندي، **صبح الاعشى**، ج3، ص86.

(*) لم اعثر على ترجمته.

"وجب ان يختار للديوان مبيض يرسم الانشاءات والسجلات والتقليدات، ومكاتبات الملوك"[64]، وقد اشترط في المبيض شرط "حسن الخط الى الغاية الموجودة بحيث لا يكاد يوجد في وقته احسن خطا منه، لتصدر الكتب عن الملك بالالفاظ الرائقة والخط الرائع"[65]، ولابد ان تنطبق عليه نفس شروط الكتاب والمحررين الذين سبقوه فهو لا يقل عنهم اهمية ولا تكليفا.

4- **كاتب تصفح**: وتتركز وظيفته في "تصفح جميع الانشاءات والتقليدات والمكاتبات وسائر ما يسطر في ديوانه"[66]، ويبدو ان ضيق وقت صاحب الديوان عن مراجعة جميع المكاتبات والمراسلات في ديوانه، ولتفادي أي زلل او خطأ او تحريف قد يصدر من الكتاب والمحررين او النساخ فلا بد وان يساعده في هذا الامر شخص يثق به وبكفاءته ليقوم بتصفح جميع ما يكتب في ديوان الرسائل وتمحيصه تمحيصا دقيقا، ولذلك فهو "يلزم الكتاب بعرض جميع ما يكتبونه وينشئونه عليه قبل عرضه على متولي الديوان. فاذا تصفح تصفحه وحرره كتب خطه فيه بما يعرف رضاه عنه ليلتزم بدرك ما فيه ويبرأ منشئه"[67].

5- صاحب الحفظ والدفاتر: ويشمل اختصاصاته المهمات الاتية:

(1) عمل تذاكر خاصة لكل كتاب للاستعانة بها عند الحاجة اليها لضمان سهولة تصنيفها ومن ثم ايجادها عندما تطلب منه، "ويجب ان تسلم اليه جميع الكتب الواردة بعد ان يكتب بالاجابة عنها ليتاملها وينقل منها في تذاكر ما يحتاج اليه"[68]، وكذلك "يجعل له تذكرة يسطر فيها مهمات ما تخرج به الاوامر في الكتب الصادرة لئلا تغفل ولا يجاب عنها"[69].

(2) عمل دفتر يدون فيه القاب الولاة وغيرهم من ذوي الخدم واسمائهم، وترتب مخاطبتهم، وتحت اسم كل واحد منهم كيف يخاطب[70].

(**) هو احمد بن محمد بن اسماعيل المرادي المعروف بالنحاس، من اهل مصر، رحل الى بغداد واخذ النحو عن الاخفش الاصغر والمبرد والزجاج ونفطويه، ثم عاد الى مصر وصنف كتبا كثيرة ومنها (صناعة الكتاب) الذي لم يصل الينا، توفي بمصر سنة 338هـ، ينظر: السيوطي، **بغية الوعاة في طبقات النحويين والنحاة**، القاهرة، مطبعة السعادة، 326هـ، ص157.

([64]) **صبح الاعشى**، ج1، ص132.

([65]) القلقشندي، **المصدر نفسه**.، ج1، ص132.

([66]) القلقشندي، **صبح الاعشى** ، ج1، ص133.

([67]) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج1، ص133.

([68]) القلقشندي، **المصدر نفسه**، ج1، ص133.

([69]) **القلقشندي،المصدر نفسه** ، ج1، ص134.

([70]) ابن الصيرفي، **قانون ديوان الرسائل**، ص139، القلقشندي، **صبح الاعشى**، ج1، ص134.

(3) عمل دفترا او سجل للحوادث العظيمة واهم الاحداث في المملكة بتواريخها[71].

(4) عمل "فهرستا للكتب الصادرة والواردة مفصلا مسائهة ومشاهرة ومياومة ..."[72] ويسلمه بعدها للخازن لتولى حفظها كما سيأتي ذكره.

(5) عمل فهرستا للانشاءات، والتقاليد، والامانات، والمناشير وغير ذلك مشاهرة في كل سنة بجميع شهورها، ويتكرر هذا العمل سنويا[73].

(6) "عمل فهرستا لترجمة ما يترجم من الكتب الواردة على الديوان بغير اللسان العربي ... مصرحا بمعنى كل كتاب ومن ترجمه"[74].

ويتضح من هذا النص وجود كاتب مهمته الترجمة والنقل من العربية الى اللغات الاجنبية وبالعكس، ويبدو ان عمل صاحب الحفظ والدفاتر ليس بالعمل اليسير، ويحتاج الى كفاءة وقوة بصيرة الى جانب سرعة بديهة، لا يستهان بها، وان يتصف بالامانة وطول الصبر، ان مهمة هذا الكاتب تشبه الى حد كبير مهمة (منظم الارشيف) في وقتنا الحاضر.

6- **كاتب السر**: وتتركز وظيفته في "التوقيع عن الملك والاطلاع على اسراره التي يكاتب بها وعنه تصدر التواقيع بالولايات والعزل، ومن حقه انهاء القصص الى الملك وتفهيمه اياها..."[75].

وتعد هذه الوظيفة من اهم الوظائف واجلها، فيبدو ان ضيق وقت الخليفة عن متابعة جميع الكتب والرسائل التي ترد الى دار الخلافة والرد عليها، فهنا يبرز دور كاتب السر في عمل ملخصات للكتب الواردة على الخليفة والتي عادة ما يكلف بها احد مساعديه، ثم يقوم بقراءتها عليه وتفهيمه لفحواها والتعليق عليها فيما بعد.

ويبدو ان لقب كاتب السر ووظيفته قديمة وجدت منذ عهد النبي –صلى الله عليه وسلم- حيث يروي (المقريزي) عن زيد بن ثابت قوله:

"قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم انها تأتيني كتب لا احب ان يقراها كل احد فهل تستطيع ان تعلم كتاب العبرانية او قال السريانية فقلت: نعم، فتعلمتها في سبع عشرة ليلة، ولم يزل خلفاء الاسلام يختارون لكتابة سرهم الواحد بعد الواحد ..."[76].

([71]) **القلقشندي،المصدر نفسه**، ج1، ص135.

([72]) ابن الصيرفي، **قانون ديوان** الرسائل، ص139، القلقشندي، **صبح الاعشى**، ج1، ص134.

([73]) ابن الصيرفي، **قانون ديوان الرسائل**، ص119، القلقشندي، **صبح الاعشى**، ج1، ص135.

([74]) القلقشندي، المصدر نفسه، ج1، ص135.

([75]) السبكي، **معيد النعم ومبيد النقم**، ص30.

([76]) **الخطط المقريزية**، ج2، ص226.

ويظهر لنا من خلال هذا النص التاريخي بان زيد بن ثابت كان احد كتاب سر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، حيث انه عليه الصلاة والسلام – لا يريد ان يطلع على اسرار دولته الفتية احد من اليهود عندما يستعين باحدهم لقراءة الكتب السريانية الواردة عليه مما حفز زيد لتعلم كتابهم واتقانه استجابة لامر رسوله الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) وللحفاظ على كيان الدين الاسلامي وحفظ اسراره.

فقد ورد ذكر ديوان السر منذ خلافة المنصور وقد اشار (الجهشياري) الى هذا الامر قائلا: "لما نكب ابو جعفر ابا ايوب في سنة ثلاث وخمس ومئة... وقلد كتابة الرسائل والسر ابان بن صدقة"[77].

ويتردد ذكر هذا الديوان ثانية في خلافة الرشيد حيث اشار (الجهشياري) في موضع آخر في نص تاريخي آخر جاء فيه:

"لما شخص الرشيد الى خراسان لانتفاضها برافع بن الليث بن نصر في سيار ... وشخص معه اسماعيل بن صبيح، وكان يتقلد ديوان الرسائل وديوان الصوافي وديوان السر"[78].

نستنتج من النصين السابقين بان هذا الديوان قد استحدث وتحت تلك التسمية في العصر العباسي الاول ابان خلافة المنصور، ويمكننا القول بانه تابع في عمله التنظيمي الى ديوان الرسائل، أي انه فرع من فروع ديوان الرسائل وبذلك يكمل احدهما مهام الاخر.

فيمكننا القول بان "منزلة كاتب السر منزلة صاحب ديوان الانشاء الا انه يتميز بالتوقيع على القصص تارة بمراجعة السلطان وتارة بغير مراجعة، فلذلك يحتاج اليه سائر اهل الدولة من ارباب السيوف والاقلام ولا يستغنى عن حسن فارته ..."[79].

وقد اشارت أحدى المصادر التاريخية الى بعض العاملين في ديوان الرسائل من غير الكتاب ومنهم: **الفراشون**: الذين يقومون بالاشراف على خدمة موظفي الديوان[80]، الى جانب **الحاجب**: اذ ينبغي لصاحب الديوان ان يقيم لديوانه حاجبا حتى ينظم عملية الدخول الى الديوان، فلا يسمح لاحد غير موظفي الديوان بدخوله او من يسمح لهم من قبل صاحب الديوان[81]، للمحافظة على اسرار العمل الديواني وعدم افساح المجال لاحد بتسريب اسرار كتب الدولة الرسمية وما يجري في الديوان.

([77]) **الوزراء والكتاب**، ص124.

([78]) **الوزراء والكتاب** ، ص226.

([79]) المقريزي، **الخطط المقريزية**، ج2، ص226-227.

([80]) الصابي، **الوزراء**، ص9.

([81]) **الصابي** ، **المصدر نفسه**، ص9، ياقوت الحموي، **معجم الادباء**، ج1، ص229 (طبعة بيروت)، ابن الصيرفي، قانون ديوان الرسائل، ص115.

اما **الخازن**: فينبغي "ان يختار لهذه الخدمة رجل ذكي عاقل مأمون بالغ في الامانة والثقة ... فان زمام جميع الديوان بيده.. ويجب ان يكون ملازما للحضور بين يدي كتاب الديوان ليتسلم كل ما يكتبونه[82]، ... ويجعل لكل شهر اضبارة يجمع فيها كتب من يكاتب من اهل الاعمال ويجعل عليها بطاقة ليسهل استخراج ما اراد يستخرجه من ذلك"[83].

وهناك اشارة الى وظيفة اخرى يمكن عدها ضمن اطار التنظيم الاداري لديوان الرسائل ولسائر الدواوين وهو **مشد الدواوين**: ووظيفة استخلاص ما يتقرر في الديوان على من يعسر استخلاصه فيه[84]، ويبدو ان وظيفته تنصب على متابعة كتاب الدواوين ومعاقبة المسيئين منهم واستخلاصهم، ولا بد ان يكون هذا الامر تحت اشراف الخليفة نفسه، أي ان عمله يشبه عمل صاحب زمام الازمة في خلافة المهدي بان يكون لكل ديوان زمام عندما جمعت الدواوين لعمر بن يزبع[85]، فقد اشارت المصادر التاريخية الى معاقبة المنصور لكتابة عندما كانوا يزورون في ديوان داره.. امر بتأديبهم وضربهم[86]، ومعاقبة الهادي لكتابه[87]، وما ذكر عن مصادرة الواثق للكتاب وسجنهم سنة تسع وعشرين ومائتين[88].

ولابد من الاشارة الى ظهور منصب اداري جديد هو (نائب متولي ديوان الرسائل) في العصر العباسي الاول، والذي تمتد جذوره الى عصر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فاذا غاب احد كتاب النبي ينوب عنه احد غيره من الكتاب الحاضرين، ويبدو ان هذا الامر اخذ فاعليته في العصر العباسي، "فاذا غاب عبد الملك بن حميد من حضرة المنصور، ينوب عنه في ادارة عمله ابو ايوب الموريانى[*]، مولى بني سليم"[89].

المبحث الثالث / الدواوين المرتبطة بعمل صاحب ديوان الرسائل

أولاً : ديوان الفض او (ديوان السر):

([82]) ياقوت الحموي، **معجم الادباء**، ج2، ص115 (طبعة بيروت)، القلقشندي، **صبح الاعشى**، ج1، ص135-136.

([83]) **القلقشندي،المصدر نفسه**، ج1، ص136.

([84]) السبكي، **معيد النعم**، ص28.

([85]) الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، ج8، ص142، ص167، **الجهشياري**، ص146، ص166.

([86]) الجهشياري، **الوزراء والكتاب**، ص136.

([87]) ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج4، ص179 (طبعة القاهرة)، الجهشياري، **الوزراء والكتاب**، ص169.

([88]) ينظر: الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، ج9، ص125، التنوخي، **الفرج بعد الشدة**، ج3، ص63.

(*) سترد ترجمته.

(89) الجهشياري، **الوزراء والكتاب**، ص97، ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج1، ص236.

لو استقرأنا النصوص التاريخية المتعلقة بالدواوين المرتبطة بديوان الرسائل وبشكل دقيق سنجد ان هناك تداخلا وترابطا واضحا في طبيعة عمل كل منها بحيث يصعب الفصل يبين تلك الدواوين، ويبدو ان السبب في هذا اللبس حول مهمة واختصاصها تلك الدواوين واختصاصها يرجع الى كون كل واحد منها يكمل عمل الاخر ويتممه مما فرض نوعا من التشابك في العمل والاختصاص، وهذا ما يؤكده توحد ادارة ديواني الفض والخاتم سنة (296هـ/908م) في خلافة المقتدر عندما عهد بهما الى محمد بن مقلة في وزارة ابن الفرات الاولى[90]، للصلة القوية والتوافق في عمل كل واحد منهما.

اما الفض: "ويعني فك ختم الكتاب وفتحه، والفض الكسر بالتفرقة، ويشير (الصولي) قائلا:

"يقال فضضت الكتاب افضه فضا، اذا نحيت عنه طينة وسحاته، واصل الفض في اللغة التفرقة كانه فرق بين الكتاب وبين طينه وسحاته"[91].

وتتركز مهمته "ان يخرج من الكتب الواصلة الى السلطان من عماله جوامعها ويوردها بقول وجيز في سراح ليخرج امره في معنى كل كتاب بما يراه"[92] وقد اطلق عليه (الطبري) بديوان السر[93]، واطلق على متولية بكاتب السر[94].

وقد سبق ان تطرقنا الى مهام كاتب السر واختصاصه، وهي في طبيعتها نفس مهام صاحب ديوان الفض مع الفرق بالتسمية عند المؤرخين، ويبدو ان السبب يعود كون التسمية بديوان الفض هي التسمية الاولى لهذا الديوان، واطلق عليه فيما بعد بـ (ديوان السر).

"لان سبيل الكتب الواردة من العمال الى النواحي الى امير المؤمنين، ان يكون ابتداؤها به وخروجها الى الدواوين منه بعد فضها واخذ جوامعها، ليقرأها الخليفة ويوقع فيها تحت التوقيع فيه بما يراه"[95].

وعندما انتقل امر هذه الكتب الى الوزير اصبح هو الذي يفض هذه الكتب ويرسلها الى الدواوين بعد ان يطلع على ما تحويه ويعانونه في ذلك كاتب[96]، مما تقدم نستنتج بان صاحب ديوان الفض او السر هو اقل رتبة

([90]) الصابيء، **الوزراء**، ص197-198.

([91]) الصولي، **ادب الكتاب**، ص124، العسكري، **التلخيص في معرفة اسماء الاشياء**، ج2، ص709، القلقشندي، **صبح الاعشى**، ج6، ص347.

([92]) ابن خلف، **مواد البيان**، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مستل من مجلة المورد، العدد الاول، مجلد السابع عشر، 1988، ص169.

([93]) **تاريخ الرسل والملوك**، ج10، ص51-52.

([94]) القلقشندي، **صبح الاعشى**، ج6، ص347.

([95]) قدامة، **الخراج**، ص58، ابن الصرفي، **قانون ديوان الرسائل**، ص108.

من الوزير في مجلس الخليفة، حيث كان يعاون الوزير في هذه المهمة، اذا ما اخذنا بنظر الاعتبار بان اغلب وزراء الخلفاء هم اصحاب ديوان رسائله اذ يتولون الكتابة الى جانب الوزراء في نفس الوقت وخصوصا في العصر العباسي الاول.

ثانياً : ديوان التوقيع

للتوقيع في اللغة معان كثيرة[97]، الا انها تنصب جميعها في معنى واحد وهو (التاثير)، "وحقه في اللغة التاثير القليل الخفيف"[98]، فكان الموقع في الكتاب يؤثر في الامر الذي كتب الكتاب فيه، ما يؤكده ويوجبه والتوقيع ما يوقع في الكتاب[99].

اما معناه الاصطلاحي فقد ذكره (ابن فارس) قائلا: ان التوقيع في الكتاب الحاق فيه بعد الفراغ منه واشتقاقه من قولهم وقعت الحديد بالمبقعة اذا ضربتها"[100]، ويعد التوقيع من خطط الكتابة[101]، لان التوقيع "هو الكتابة على الرقاع والقصص بما يعتمده الكاتب من امر الولايات والمكاتبات في الامور المتعلقة بالمملكة، والتحدث في المظالم، وهو امر جليل، ومنصب حفيل، اذ هو سبيل الاطلاق، والمنع، والوصل والقطع، والولاية والعزل"[102]، "بان يجلس الكاتب بين يدي السلطان في مجالس حكمه وفصله ويوقع على القصص المرفوعة اليه احكامها والفصل فيها متلقاة من السلطان، باوجز لفظ وابلغه، فاما ان تصدر كذلك، واما ان يحذو الكاتب على مثالها في سجل يكون بيد صاحب القصة، ويحتاج الى عارضة من البلاغة، يستقيم بها توقيعه[103]".

فالتوقيعات من الرسائل الادارية وتلحق بها، اذ ان الاصل فيها ما يكتبه الخليفة او الوزير او الامير تعليقا على كتاب، او رقعة او ملتمس بتوقيعه بجملة او عدة جمل وغالبا ما تتم بالبلاغة والاختصار.

ويتولى هذه المهمة صاحب التوقيع الذي وصفه (ابن خلف) قائلا:

([96]) قدامة، **الخراج**، ص58.

([97]) من هذه المعاني: الرمي، القريب، وتظني الشيء وتوهمه ونوع من السير، ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج3، ص168.

([98]) الصولي، **ادب الكاتب**، ص134.

([99]) ينظر: البطليوسي، **الاقتضاب**، ق1، ص102، ابن منظور، **لسان العرب**، ج3، ص168، الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، ج3، ص97، الزبيدي، **تاج العروس**، ج5، ص550.

([100]) ابو الحسين احمد بن فارس (ت: 395هـ)، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام هارون، ط2، ج6، ص134.

([101]) ابن خلدون، **المقدمة**، ج1، ص247، ابن الازرق، **بدائع السلك**، ج1، ص275.

([102]) القلقشندي، **صبح الاعشى**، ج1، ص110-111.

([103]) ابن خلدون، **المقدمة**، ج1، ص247، ابن الازرق، **بدائع السلك**، ج1، ص275.

"هو يد الوزير ونائبه، ومتولي العرض على الخليفة اذا غاب، واذا لم يكن للسلطان وزير منصوب فالموقع يدخل مدخله"[104].

اذ عن طريقة ترفع الطلبات والرقاع الى الخليفة، بعد جمعها من الدواوين، فيقوم صاحب الديوان بصياغة راي الخليفة بشكل بليغ ومختصر، ثم تحال الى كاتب التوقيع الذي يقوم بتثبيت التوقيع عنده وبالتالي تحرير كتاب بذلك الى الديوان المختص ذي العلاقة متضمنا امر الخليفة في تنفيذ ذلك الامر[105]، وهذا ما يؤكده (الطبري) قائلا:"... حدثه ان عيسى بن دأب كان اكثر اهل الحجاز ادبا واعذبهم الفاضا، وكان قد حظي عند الهادي حظوة ... فامر له ذات ليلة بثلاثين الف دينار فلما اصبح ابن دأب وجه قهرمانه ... فلقي الحاجب، فابلغه رسالته فتبسم وقال: هذا ليس الي، فانطلق الى صاحب التوقيع ليخرج له كاتبا الى الديوان، فتدبره هناك..."[106].

حيث كان التوقيع يتولاه في ابتداء الامر الخلفاء، فكان الخليفة هو الذي يوقع في الامور السلطانية وفصل المظالم وغيرها[107]، وظلت التوقيعات تجري على هذا المنوال حتى صارت الخلافة لهارون الرشيد، حيث كثرت التوقيعات "فاصبحت تناط بوجه عام بالكتاب.

فنلاحظ ان التوقيعات مرت بتطورات مرحلية حيث كان الخلفاء وحدهم من كانوا يوقعون على الكتب والظلامات، ثم انيطت هذه المهمة الى الوزراء والكتاب ابان خلافة الرشيد، واصبحت فنا وصنعة تكتب في دواوين الرسائل في ارجاء الدولة العربية الاسلامية،.

وقد توهم احد مؤرخينا حين جعل ديوان الرسائل وديوان التوقيع (الذي نشأ في العصر العباسي الاول) وجعلهما ديوانا واحدا فقد ذكر (الاربلي) عندما اشار لديوان التوقيع في عهد الامين (193-198هـ) قائلا: "ولما تولى الامين الخلافة ... ورتب اسماعيل بن صبيح ومعه علي بن صالح على ديوان التوقيعات والرسائل"[108].

والسبب يعود لامرين احدهما: اما ان ديواني التوقيع والرسائل قد توحدا فعلا في خلافة الامين وهذا ما لا نستطيع تأكيده، والامر الاخر ان مؤرخنا قد توهم بالفعل عندما خلط بين الديوانين للصلة التي تربطهما كون ان

([104]) **مواد البيان**، تحقيق: د. حاتم الضامن، مستل من مجلة المورد، العدد الاول، المجلد السابع عشر، 1988، ص169.

([105]) قدامة، **الخراج**، ص52.

([106]) **تاريخ الرسل والملوك**، ج8، ص220-221.

([107]) القلقشندي، **صبح الاعشى**، ج1، ص111.

([108]) **خلاصة الذهب المسبوك**، ص174.

مهام ديوان التوقيع هي جزء لا يتجزأ من مهام ديوان الرسائل، وهذا ما ذهب اليه البعض بان "ديوان التوقيع على صلة دائمة بديواني البريد والرسائل"[109].

اما بالنسبة للورق الذي كانت تكتب فيه التواقيع فيذكر بان "المستحب فيه الكاغد النصفي"[110]، كما عين للتوقيعات قلم خاص "تكتب به (قلم التوقيعات)[111]، اذ يضم الديوان كغيره من الدواوين مجموعة من الكتاب الى جانب صاحب الديوان[112]، فقد كان هناك كاتب للانشاء وآخر للتحرير وثالث للنسخ، حيث لا يمكن لاي ديوان ان يستغني عن امثال هؤلاء الكتاب[113].وقد ابدع (ان العباس) في وصف ابلغ التواقيع قائلا:

"ويستحب في الكتابة ما قل ودل في رشاقة الالفاظ وحلاوة المعاني وفصاحة الاعراب وطلاوة السجع وخفة الاشارة وجودة العبارة وقرب المعنى وبلاغة الكلام وحسن الخط وكفاية الجواب ومقنع التوقيع"[114].

فمن تواقيع ابو العباس السفاح عندما وقع في كتاب جماعة من بطانته يشكون احتباس ارزاقهم: "من صبر في الشدة شارك في النعمة، ثم امر بارزاقهم"[115]، ووقع المنصور الى عامل له شكا منه بعض الرعية: "اكفني امرهم والا كفيتهم امرك"[116]، وقد يكون التوقيع بآية قرانية كما وقع المهدي الى صاحب ارمينية عندما كتب اليه يشكو سوء طاعة رعاياه[117] "خذ العفو وامر بالمعروف واعرض عن الجاهلين"[118].

ووقع الرشيد ليحيى البرمكي حينما كتب اليه يستعطفه عند سقوطه[119]، فوقع له: "قضي الامر الذي فيه تستفتيان"[120].ووقع المأمون على رسالة عمه ابراهيم بن المهدي يطلب الصفح والاعتذار:

([109]) البيهقي: ابو الفضل ظهر الدين علي بن زيد (ت: 565هـ)، **تاريخ البيهقي**: ترجمة: يحيى الخشاب، وصادق نشأت، بيروت، دار النهضة العربية، 1982، ص772.

([110]) الصابيء، **رسوم دار الخلافة**، تحقيق: ميخائيل عواد، بغداد، مطبعة العاني، 1383هـ-1964م، ص127، (ومقادير قطع الورق في القديم هي الثلثان والنصف والثلث والربع والسدس).

([111]) العمري، **التعريف بالمصطلح الشريف**، ص89.

([112]) قدامة، **الخراج**، ص54.

([113]) **قدامه** ، **المصدر نفسه** ، ص54.

([114]) ابن العباس: الحسن بن عبد الله بن محمد بن عمر (ت:708هـ)، **آثار الاول في ترتيب الدول**، طبعة القاهرة، 1295هـ، ص68.

([115]) ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج4، ص293.

([116]) ابن عبد ربه، العقد الفريد ، ج4، ص293.

([117]) ابن عبد ربه، **المصدر نفسه**، ج4، ص295.

([118]) سورة الاعراف، الاية: 199.

([119]) الجهشياري، **الوزراء والكتاب**، ص253.

فوقع في كتابه: "القدرة تذهب الحفيظة، والندم توبة، وبينهما عفو الله، وهو افضل ما يسأل"[121].ووقع لاحد عماله: "وقد كثر شاكوك وقل شاكروك فاما اعتدلت واما اعتزلت"[122].

ومن توقيعات الوزراء توقيع ليحيى البرمكي لاحد الولاة يشكو متظلما فوقع له: "انصف من وليت امره والا انصفهم من ولي امرك"[123].

ولسنا بصدد احصاء تلك التوقيعات بقدر الاستعانة ببعضها وتقديم نماذج ملونة منها للتعرف على طبيعة تلك التواقيع ومدى الاختلاف فيما بينها، لنجد بانها ذات قيمة حضارية كبيرة اذ ترسم لنا السياسة التي تتبعها الدولة من خلال تعامل الخليفة مع رعيته وولاته، وطبيعة النظم الحضارية للدولة العربية الاسلامية، فهي تعطينا صورة لطبيعة المجتمع وما يجري فيه، اهم احداثه السياسية، احوال موظفي الدولة، مراسيم تقليدهم وعزلهم وغيرها من الامور المهمة.

الى جانب ما تقدمه تلك التواقيع من فوائد لغوية فهي بمثابة معجم لكثير من الالفاظ، والمصطلحات الفنية التي كانت تستعمل آنذاك.. للوقوف على مبلغ رقي فن الكتابة .. واحتوت التواقيع بشائر بفتح او انتصار او تقليد سلطنة، او توليه ملك"[124]، وقد صورتها بتواقيع ضمت آيات قرآنية او احاديث نبوية، او حكم بليغة، وقد تكون بامثال معروفة.

ثالثاً: ديوان الخاتم

اما الخاتم فهو من الخطط السلطانية والوظائف الملوكية والختم على الرسائل والصكوك معروف للملوك قبل الاسلام وبعده[125].

لقد حظي ديوان الخاتم بمكانة مرموقة خلال العصر العباسي الاول لادراك الخلفاء مدى اهمية هذا الديوان وخطورته لصلته الوثيقة بمكاتبات الدولة العربية الاسلامية ومراسلاتها والدور الذي يعلبه في حفظ اسرار الدولة

([120]) سورة يوسف، الاية: 41.

([121]) العبدي: ابو الحسن محمد بن عمران (ت: 355هـ)، **كتاب العفو والاعتذار**، حققه وقدم له: د. عبد القدوس صالح، ج1، الرياض، 1401هـ-1981م، ص216.

([122]) قدامة، **نقد النثر**، تحقيق: طه حسين وعب الحميد العبادي، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، 1933، ص90.

([123]) البيهقي، **المحاسن والمساوئ**، ص501.

([124]) هلال ناجي، **التوقيعات التدريسية**، ص21.

([125]) ابن خلدون، **المقدمة**، ج1، ص264.

وحمايتها من التلاعب والتزوير[126]، فعندما تولى الخلافة ابو العباس السفاح (132هـ-136هـ/749-753م) "ولي ابا سلمة الداعي جميع ما وراء بابه وجعله وزيره واسند اليه جميع اموره"[127]، "وسلم اليه الدواوين"[128].

وهناك تطور اخر طرا على ادارة ديوان الخاتم اذا توحد عمل ديواني التوقيع والخاتم في خلافة المأمون وتولى رئاستها صاحب ديوان التوقيع حسب ما ذكره (ابن طيفور) قائلا: "... ولي ابو زيد التوقيع والخاتم ..."[129]، مما يتضح لنا جليا بان ديوان الخاتم "ديوان معتبر من اكابر الدواوين ولم تزل السنة جارية فيه الى اواسط دولة بني العباس فاسقط"[130].

فنلاحظ بان عمل ديوان الخاتم هو جزء حيوي ولا يتجزأ عن عمل ديوان الرسائل بل انه قد اختص به .

ولم يقتصر الخاتم على الخلفاء وحدهم، بل كان للولاة ايضا خواتيمهم الخاصة بهم، فقد روي انه بعد استدعاء المنصور لابي مسلم الخراساني من خراسان وقبل مسيرة لمقابلة الخليفة اوصى صاحبه الذي سلمه عسكره بقوله: "ان جاءك كتابي وهو مختوم بنصف خاتمي فهو كتابي وان كان مختوما بكل الخاتم، فاعلم انه ليس ختمي واوصاه بما اراد"[131].

الخاتمة

لقد توصلنا الى جملة نتائج من تفصيلات البحث تركزت فيما يلي: -

(1) ان تسمية الديوان عربية الاصل، وان مصطلح ديوان الرسائل قد ذكر منذ خلافة معاوية بن ابي سفيان، على عكس ما يؤكده بعض المؤرخين بانه تم الاشارة اليه في عهد عبد الملك بن مروان.

(2) ان الاسس الحقيقية للتنظيم الاداري لديوان الرسائل تعود اغلبها الى حقبة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والخلفاء الراشدين، وان لم تتحدد ملامحها الاساسية ابتداءا من كون النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يملي بنفسه على كتابه ما يريد، فضلا عن وظيفتي الناسخ وكاتب السر، ومما يعكس اهتمام خلفاء المسلمين بتنظيم امورهم الكتابية وبناء هيكلية ادارية مستقلة بديوان رسائلهم، والذي تبلور هذا الامر جليا خلال

([126]) حول نقش خواتيم الخلفاء، ينظر: ابن عباد، **عنوان المعارف**، ص41-48، ابن الكازروني، **مختصر التاريخ**، ص64-196، القلقشندي، **صبح الاعشى**، ج6، ص340-341، الحديثي: محمد جاسم، **صفة الخلفاء ونقش خواتيمهم**، مجلة المورد، بغداد، العدد الثاني، المجلد الثلاثون، 2002م، ص60-75.

([127]) الدنيوري، **الاخبار الطوال**، ص370.

([128]) ابن الطقطقي، **الفخري**، ص155.

([129]) **كتاب بغداد**، ص62.

([130]) ابن الطقطقي، **الفخري**، ص107.

([131]) ابن الطقطقي، **الفخري**، ص170.

العصر العباسي من خلال عناية الخلفاء العباسيين بدقة تنظيمهم الاداري لصاحب ديوان الرسائل واعوانه، وهذا ما تؤكده بعض التطورات التي طرأت على عمل الديوان ومتوليه خلال العصرين الاموي والعباسي.

(3) بروز ظاهرة توارث منصب صاحب ديوان الرسائل او كاتب صاحب الديوان توارثا تلقائيا".

(4) لقد تميزت مؤسسات الدولة العربية الاسلامية الأدارية، وفي مقدمتها ديوان الرسائل – بميسم خاص اذ غلب عليها طابع الحركة والتطور والتجديد بشكل مستمر، وهذا الامر يعتمد بالدرجة الاساس على قدرة تلك الدولة على التطور في جميع مؤسساتها بما يتناسب وحاجاتها واختصاصاتها المتجددة، ومدى رقيها الحضاري والفكري.

(5) اصبح في بغداد ديوانان للرسائل خلال حقبة التسلط البويهي (334هـ/477م) ، احدهما للخليفة العباسي، والاخر للامير البويهي، ولكلا منهما كاتب مختص بكتابة رسائله وتحرير كتبه، مما يعكس ضعف مركز الخليفة مما انعكس سلبا على مركز صاحب ديوان الرسائل ومكانه ديوانه وضعف مركزيته.

(6) كان لكتاب الرسائل دورا سياسيا وثقافيا واقتصاديا مهما في التدخل في ادارة شؤون الدولة ونظمها الحضارية تجاوز عملهم في الديوان، فقد تسلم العديد منهم بعض المهام بامر الخليفة الى جانب توليه لديوان الرسائل ومنهم من جمع بين السيف والقلم، مما فسح لهم المجال لتأكيد دورهم في ذلك الجانب.

أ- المصادر العربية

القرآن الكريم

ابن الداية: احمد بن يوسف الكاتب (ت: 340هـ/948م)

1-المكافأة وحسن العقبى، حققه وشرحه وصححه: محمود محمد شاكر، ط1، القاهرة، 1940م.

ابن الصيرفي: ابو القاسم علي بن منجب بن سليمان (ت: 505هـ/1155م)

2- قانون ديوان الرسائل، القاهرة، 1905.

ابن الطقطقي: محمد بن علي بن طباطبا (ت: 707هـ/1909م

3- الفخري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية، بيورت، دار صادر، 1966.

ابن حجر: شهاب الدين ابو الفضل احمد بن محمد بن علي العسقلاني (ت: 853هـ/1449م)

4-- فتح الباري الى صحيح البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت، دار المعرفة، 1979م.

ابن حنبل: ابو عبد الله احمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت: 241هـ/855م)

5- مسند ابن حنبل، شرحه ووضع فهارسه: احمد محمد شاكر، المطبعة الميمنية، القاهرة، 1950.

ابن خالويه: الحسين بن احمد (ت: 370هـ/980م)

6- ما ليس من كلام العرب، تحقيق: احمد عبد الغفور، مصر، دار مصر للطباعة، 1957.

ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت: 808هـ/1405م)

7- مقدمة ابن خلدون، دار احياء التراث العربي، بيروت، بلا تاريخ.

ابن خلف: ابي الحسن علي بن خلف بن علي عبد الوهاب الكاتب (ت: بعد 437هـ/1045م)

8- مواد البيان، تحقيق: حاتم الضامن، ونشر مجزء في سبعة اقسام ضمن مجلة المورد، القسم الاول في المجلد السابع عشر، العدد الاول، 1408-1988، 1990.

ابن سيدة: ابو الحسن علي بن اسماعيل النحوي (ت: 458هـ/1065م)

9- المخصص، طبعة مصر، المطبعة الاميرية، بولاق، 1320هـ.

ابن طيفور: احمد بن ابي طاهر (ت: 280هـ/893م)

10- كتاب بغداد، بيروت، دار الجنان، بلا تاريخ.

ابن فارس: ابو الحسن احمد بن فارس بن زكريا (ت: 395هـ/1005م)

11- معجم مقاييس اللغة، ط4، بيروت، دار العلم للملايين، 1987م.

ابن قتيبة: ابو محمد عبد الله بن مسلم (ت: 276هـ/889م)

12- ادب الكاتب، حققه: محمد محي الدين عبد الحميد، ط3، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، 1958م.

ابن منظور: ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت: 711هـ/1311م)

13- لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1956م.

ابو يعلي:محمد بن الحسين الفراء(458هـ/1065م)

14- الاحكام السلطانية ،صححه وعلق عليه:محمد حامد الفقي،مطبعة الابي الحلبي،مصر،1938م.

البطليوسي: ابو محمد عبد الله بن محمد بن السيد (ت: 521هـ/1127م)

15- الاقتضاب في شرح ادب الكتاب، تحقيق: مصطفى السقا، وحامد عبد المجيد، الهيئة المصرية للكتاب، 1981م.

البغدادي: ابي القاسم عبد الله بن عبد العزيز (ت: في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي)

16- الكتاب وصفة الدواة والقلم وتصريفها، تحقيق: هلال ناجي، مستل من مجلة المورد، العدد الثاني، المجلد الثاني، بغداد، دار الحرية للطباعة، 1973 (ضمن مخطوط محفوظ في مكتبة الفاتح في استنبول تحت رقم: 5306).

البيهقي: ابو الفضل ظهير الدين علي بن زيد (ت: 565هـ/1171م)

17- تاريخ البيهقي، ترجمة: يحي الخشاب، وصادق نشأت، دار النهضة العربية، بيروت، 1982م.

التنوخي: ابو علي المحسن بن علي (ت: 384هـ/994م)

18- كتاب الفرج بعد الشدة، تحقيق: عبود الشالجي، بيروت، دار صادر، بلا تاريخ.

الجهشياري: ابو عبد الله محمد بن عبدوس (ت: 331هـ/942م)

19- الوزراء والكتاب، حققه ووضع فهارسه: مصطفى السقا وابراهيم الابياري، وعبد الحفيظ شلبي، ط1، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، 1938م.

الجوهري: اسماعيل بن حماد (ت: 393هـ/1002م).

20- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ط4، بيروت، دار العلم للملايين،

الرازي: محمد بن ابي بكر بن عبد القادر (ت: 666هـ/1268م)

21- مختار الصحاح، الكويت، دار الرسالة، 1983.

الزمخشري: جار الله محمود بن عمر (ت: 538هـ/1143م)

22- ربيع الابرار ونصوص الاخبار، تحقيق: د.سليم النعيمي، بغداد، مطبعة العاني، 1982.ا

23- ساس البلاغة، تحقيق: عبد الرحيم محمود، القاهرة، مطبعة اولاد اور قائد، 1953م.

سيبويه: عمرو بن عثمان (ت: 179هـ/792م)

24- الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، عالم الكتب، بيروت، بلا تاريخ.

السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر (ت: 911هـ/1505م)

25- اسعاف المبطأ، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، 1389هـ/1969م.

الشهاب الخفاجي: شهاب الدين احمد الخفاجي (ت: 1069هـ/1658م)

26- شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، تصحيح وتعليق: محمد عبد المنعم الخفاجي، ط1، القاهرة، 1952م.

الصابيء: ابو الحسين هلال بن المحسن (ت: 448هـ/1056م)

27- رسوم دار الخلافة، عني بتحقيقه والتعليق عليه ونشره: ميخائيل عواد، مطبعة العاني، بغداد، 1383هـ/1964م.

الصولي: ابو بكر محمد بن يحيى (ت: 335هـ/946م)

28- ادب الكتاب، تحقيق: محمد بهجت الاثري، المطبعة السلفية، مصر، 1341هـ.

الطبري: ابو جعفر محمد بن جرير (ت: 310هـ/922م)

29- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، ط4، دار المعارف، القاهرة، 1968م.

العباسي: الحسن بن عبد الله بن محمد بن العباس (ت: 708هـ/1308م)

30- اثار الاول في ترتيب الدول، مطبعة القاهرة، بولاق، 1878م.

العبدي: ابو الحسن محمد بن عمران (ت: 355هـ/965م)

31- كتاب العفو والاعتذار، حققه وقدم له: د. عبد القدوس صالح، الرياض، 1981م.

العسكري: ابو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (ت: 395هـ/1004م)

32- كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر) حققه وضبط نصه: د. مفيد قميحة، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1409هـ/1989م.

الفراهيدي: الخليل بن احمد (ت: 175هـ/782م)

33- كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي، بغداد، دار الحرية للطباعة، 1980-1984م.

الفيروزآبادي: ابو الحسين علي بن يعقوب (ت: 817هـ/1414م)

34- القاموس المحيط، مصر، مطبعة المأمون، 1938م.

قدامة: ابو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي (ت: 377هـ/987م)

35- الخراج وصناعة الكتابة، شرح وتحقيق: محمد حسين الزبيدي، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1981م.

القلقشندي: ابو العباس احمد بن علي (ت: 821هـ/1418م)

36- صبح الاعشى في صناعة الأنشا، نسخة مصورة عن الطبعة الاميرية،القاهرة،بلا تاريخ.

الماوردي: ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري (ت: 450هـ/1058م)

37- الاحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1398هـ/1978م.

المقريزي: تقي الدين ابو العباس احمد بن علي بن عبد القادر (ت: 845هـ/1441م)

38- كتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، طبعة القاهرة، دار التحرير للطبع، 1270هـ.

ياقوت الحموي: شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت: 626هـ/1281م)

39- معجم البلدان، طبعة طهران، 1965م.

المراجع العربية

الباشا: حسن

40-الالقاب الاسلامية في التاريخ والوثائق والاثار، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1957.

41-الفنون الاسلامية والوظائف على الاثار العربية، دار النهضة المصرية، القاهرة، 1966م.

الدوريات

الحديثي: محمد جاسم

42- صفة الخلفاء ونقش خواتيمهم، مجلة المورد، العدد الثاني، المجلد الثالث، بغداد، 2002م.

المصادر الاجنبية

43- E.I, (Diwan), Levey, R, The Social Structure of Islam, Cambridge, 1962.